الخطاب النهائي

الذي ألقاه أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

في الجلسة السنوية للجماعة الإسلامية الأحمدية في بريطانيا

يوم ٢٦/٠٧/٢٠٠٩

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

حين أعلن سيدنا ميرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام أنه هو المسيح الموعود والإمام المهدي وأن الله سبحانه وتعالى أخبره عن طريق الوحي والإلهام أنه هو الإمام المهدي والمسيح المنتظر وأنه قد نال درجة النبوة غير التشريعية في أمة النبي ﷺ لاتّباعه الكامل وحبه الجمّ لحضرته ﷺ، أقام المعارضون القيامة وأثاروا ضجة كبيرة، ووصفوا هذا الإعلان بأنه افتراء محض وكذب صريح واستخدموا ضده عليه السلام أشنع الكلمات التي لا يتفوه بها أي شريف، ولا يزالون يلصقون بحضرته أشنع التهم. وقد أثاروا عامة المسلمين قائلين: إن الله تعالى بإنزاله آيـــة خـــاتم النبيين قد سدّ أبواب جميع أنواع النبوة بعد النبي ﷺ.

وكل مسلم أحمدي يعرف جيدا أن المعاني التي يقدمونها لخاتم النبيين باطلة تماما، لأنها لا تفيد إغلاق كافـــة أنواع النبوة، غير أن الله عز وجل قد أعلن في الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة:٤) أن الإسلام هو الدين الأخير إلى يوم القيامة. ثم قال ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ (البروج ٢٢-٢٣) أي أن هذا الكلام الجليل سيُقرأ في كل مكان وزمان وهو في لوح محفوظ. فقد تم حفظُه بحيث يكون تعليمه خالدا إلى يوم القيامة. وهكذا قد أعلن الله سبحانه وتعالى أنه لن يـــأتي أي دين جديد أو شريعة جديدة، ولا يمكن أن يُبعث أي نبي مستقل يفوز بدرجة النبوة من خلال علاقته بالله تعالى دون خضوعه لطاعة النبي ﷺ. بل إن هذا المقام لن يوهب إلا لمن كان من أمة النبي ﷺ ويحمل نقش خاتمه. فهذا ما أعلنه الله سبحانه وتعالى في آية خاتم النبيين. لكن بعض العلماء من أصحاب الفهم الناقص، وكثير من المشايخ الأشرار – بسبب سوء فهمهم هذا المعنى أو عدم تمكُّنهم من الإدراك الصحيح لتعبير خاتم النبيين –

قد بذلوا ولا يزالون يبذلون جهودا جبارة لإثارة أبناء الأمة ضد سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في كل زمان ومكان. والبديهي أنهم حين لم يفهموا – أو لم يريدوا أن يفهموا – معنى ختم النبوة كان لا بد أن يفسروا موضوع الوحي الإلهي المرتبط بهذا الموضوع تفسيرا خاطئا. وهذا ما حصل عمليا حيث أعلنوا ولا يزالون يعلنون أن جميع أبواب الوحي الإلهي قد سُدّت. ورفضوا بشدة إعلان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام بأن الله سبحانه وتعالى يكلمه ويوحي إليه ويلهمه. لكن السعداء من الباحثين عن الحق قد وجدوا الحق وفهموا القضية. وبانضمامهم إلى جماعة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يبذلون قصارى جهودهم لإيصال دعوة الدين الأخير الكامل الذي جاء به النبي ﷺ إلى كافة أرجاء المعمورة.

ما هو الوحي والإلهام؟ أو ما هو المعنى الحقيقي لهما؟ هذا السؤال ينشأ في أذهان كثير من الناس فيتساءلون أنه إذا كانت أبواب الوحي والإلهام قد سُدت فهذا يعني أن الله تعالى قد تخلّى عن بعض صفاته أو قُضي على صفة من صفات الله والعياذ بالله. كلا! بل إن الله الذي هو مالك جميع القوى والقدرات يعلن أنه هو الأول والآخر، وهو أزلي أبدي لا يأتي عليه الفناء. وإذا اعتقد أحد أنَّ الله تعالى كان يقوم ببعض الأمور في الماضي ولا يفعلها الآن، فلا بد من الاعتراف بأن نقصا ما قد طرأ على بعض صفاته، وهو بهتان عظيم على ذات الله البارئ وإثم كبير. فمن ناحية يدّعي التقليديون من المسلمين الإيمان بالله القوي القدير الواحد الأحد، ومن ناحية ثانية لا يجدون مضرة في القول – دون تفكر وتدبر – بما يطعن في شأن الله العظيم سبحانه وتعالى ويعرِّضه للعيب والنقص لمجرد عدائهم للمسيح الموعود عليه السلام، بكل وقاحة نابذين كل حياء وأدب وراء ظهورهم.

فاتقوا الله (أيها الطاعنون) وتذكروا على الدوام قول الله سبحانه وتعالى ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء ٢٣). إن الله تعالى لا يزال يتصف بجميع الصفات الحسنة — سواء علمناها أو لم نعلمها – كما كان يتصف بها في الماضي، ويجليها متى يشاء وكيفما يشاء. فما زال يكلِّم عباده اليوم أيضا كما كان يكلمهم في الماضي. فحين أرسل سيدنا المسيح الموعود عليه السلام حسب وعده في هذا الزمن فقد كلَّمه بالوحي والإلهام، يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في بيت من الشعر له باللغة الأردية ما معناه:

ذاك الإله لا يزال يجعل من يشاء كليما ولا يزال يكلِّم من يحبه

ثم يقول الله جل جلاله في القرآن الكريم بخصوص استمرار نزول الوحي والملائكة وتكلُّمهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾(فصلت: ٣١-٣٢)

لقد أفحم الله سبحانه وتعالى بذكر نزول الملائكة واستمرار الوحي في هذه الآيات أولئك المشايخ أصحابَ الأفكار الخاطئة الذين يقولون إن أبواب الوحي قد سُدّت الآن. ألا إن أبواب الوحي مفتوحة على أولياء الله الذين

يستقيمون ويتحملون كل ابتلاء وأذى في سبيل الله لا على العلماء المزعومين. فالملائكة تتنـــزل علـــيهم وتُكلِّمهم وتُطَمئنهم قائلين: نحن معكم في هذه الحياة الدنيا وسنكون معكم في الآخرة أيضا.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في تفسير هذه الآية: "إن الذين يقولون إن إلهنا هو جامع الصفات الكاملة والذي لا شريك له في الذات ولا في الصفات، ثم يستقيمون ولا يتزعزع إيمانهم وصِدقُهم مهمـــا هـــزَّتْهم الزلازل ونزلت عليهم البلايا وتعرضوا للموت، فإن الملائكة تتنـــزل على أمثال هـــؤلاء، ويكلِّمهـــم الله ويقول لهم: لا تخافوا البلايا والعدو الشرس ولا تحزنوا على ما أصابكم في الماضي، إنني معكم، وأُعطيكم في هذه الدنيا الجنةَ التي وُعدتموها، فافرحوا بها.

ولْيتّضح هنا أن هذه الأمور ليست بلا دليل، وليست هذه بالوعود التي لم تُنجَزْ، بل قـــد ذاق آلاف مـــن أصفياء القلوب طعْم هذه الجنة الروحانية في دين الإسلام. الحق أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي جعل الله أتباعه الصادقين وَرَثةً لجميع الصادقين السابقين، وأعطى هذه الأمة المباركة نِعمَهم المتفرقـــة." (محاضـــرة لاهور، الخزائن الروحانية ج٢٠ ص١٦١)

ثم يقول حضرته: "لا يفوز أحد بالإلهام أو الوحي الإلهي ما لم يعقد الصلح التام مع الله تعالى وما لم يخضع ليحْمِل نير طاعته. يقول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْـتَقَامُوا تَتَنَـزَّلُ عَلَـيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾. في هذا إشارة إلى أن نزول الـــوحي خاص بأولئك الذين يستقيمون في سبيل الله وهم مسلمون فقط. (جريدة "بدر" عـــدد ١٣ آذار/مـــارس ١٩٠٥)

ثم قال: من المؤكد أن عباد الله الخواص الذين هم أولياؤه يحظون بنصيب من المكالمـــة الإلهيـــة والـــرؤى الصادقة، فيجب أن يكون من عقائد المسلم الحقيقي *(ومن معتقداتنا الراسخة، بفضل الله تعالى بعد الإيمان بإمام الزمان والمحب المخلص للنبي ﷺ)* أن الله تعالى يتصف بجميع صفاته الكاملة اليوم أيضا كما كـــان في الماضي، وأنه سبحانه وتعالى ليس قادرا على أن يوحي إلى أوليائه وخواصه متى يريد فحسب، بل يوحي إليهم علـــى أرض الواقع. لكن الإنسان – كما قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام – لا يتشرف بالوحي والإلهام من الله ما لم يتصالح مع الله صُلحا كاملا وما لم يخضع له خضوعا تاما، وهذا شرفٌ يتميز به المسلمون فقط.

ومما يبعث على الحيرة أن الميزة التي شرَّف الله بها المسلمين بعد مجيء الشريعة المحمدية يُنكر التقليديون مـــن المسلمين الفوز بها، وذلك فقط لأن سيدنا ميرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام قد أعلن بأنه هو الإمام المهـــدي والمسيح الموعود وأنه هو النبي غير المشرع، وأن الله سبحانه وتعالى يكلِّمه. ولم يكتف عليه السلام بالإعلان باللسان فقـــط، بل قد نشر إلهاماته العديدة مسبقا، ثم تحقق ما نشره وشهد على تحققه الأصدقاء والأغيار علـــى الـــسواء. فمثلا قد أعلن حضرته أن الله تعالى أوحى إليه: "إني معك ومع أحبائك". واليوم بعد مرور أكثر من ١٢٠ عاما لا يؤمن الأحمديون فقط بتحقق هذا الوحي، بل إن الأغيار أيضا لا يجدون بدا من الاعتراف بأنه رغم كل أنواع المعارضة والمخالفة يبدو أن تأييد الله حليفكم. لقد شن الأعداء الهجوم علـــى حـــضرته عليه السلام

واستدرجوه إلى المحاكم، لكن الله تعالى بشَّره قبل الأوان دائما أن العدو لن يتمكن من إلحاق أي ضرر به عليه السلام. ثم شاهد العالم بأسره أن الأعداء لم يخيبوا في مؤامراتهم ومكائدهم فحسب، بل قد حل عليهم غضب الله وصاروا عبرة للآخرين سواء أكانوا في شبه القارة الهندية أو من بلد راقٍ مثل الولايات المتحدة الأمريكية. فقد أهان الله تعالى عدوَّه عليه السلام وأخزاه تحقيقا للخبر الذي كشفه الله سبحانه وتعالى على حضرته عليه السلام في الوحي. فمن قلة العقل وضعف الإيمان أن يقول المرء إن الله تعالى قد سد أبواب وحيه وكلامِه.

والآن أعود إلى ما شرح به أهل القواميس والمعاجم الوحيَ والإلهام. فكما تبين من كلام سيدنا المسيح الموعود عليه السلام المذكور أعلاه أن كلام الله مع عباده يسمَّى الوحي والإلهام. أما كيف يوضح ذلك أهل المعاجم، فلا أستطيع أن أقرأ عليكم كل ما قالوا في هذا الخصوص وإنما أكتفي بسرد ما أورده الإمام الراغب في كتابه "المفردات في غريب القرآن"، فهو كتاب يعتد به، وقد جاء فيه: "أصل الوحي الإشارةُ السريعة. ولتضمُّن السرعة قيل أمر وحيٌ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة بعض الجوارح وبالكتابة. وقد حُمل على ذلك قوله تعالى ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ فقد قيل رمزَ، وقيل اعتبار وقيل كتبَ، *والجملة التالية جديرة بالانتباه يقول* .. ويقال للكلمة الإلهية التي تُلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحيٌ." (مفردات غريب القرآن للإمام الراغب الأصفهاني)

انظروا الآن كيف يثير المعارضون ضجة عند إعلان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أنه يتلقى الوحي من الله. إننا نؤمن بأن حضرته عليه السلام كان نبيا كما أعلن بنفسه أنه نبي غير مشرع. ومن المعلوم أن الأنبياء يتلقون الوحي من الله، غير أن الإمام الراغب يقول إن الوحي ينزل على الأولياء أيضا. وحين قال هذا لم يبين الفرق بين ما يوحى إلى الأنبياء والأولياء، بل إن الكلام الإلهي الذي يُلقى إلى أنبيائه أو أوليائه وحيٌ عنده.

والآن أقدم لكم مجمل ما كتبه حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه من معاني الوحي من كتب مختلفة، فيقول بعد إيراد المعاني الواردة في مختلف القواميس وتفاصيلها: يتبين من هذه المراجع أن الوحي يعني:

١- تفويض مهمة ، التوكيل ٢- إلقاء أمر في القلب ٣- تفهيم أمر بإشارة أو رمز ٤- إرسال رسالة عن طريق رسول ٥- الكتابة ٦- التكلم بإخفاء ٧- الحُكم أو إصدار الأوامر، فهذا تعريف شامل واسع للوحي.

وبعد هذا التوضيح نرى ماذا يقول الله تعالى في القرآن الكريم عن مناسبات نزول الوحي، ومَن الذين يتلقونه ولأجل مَن ينزل الوحي، وما هي كيفية الوحي؟ لقد وردت كلمة الوحي في القرآن الكريم في مواضع عدة وفي سياقات مختلفة وفي حق أشياء مختلفة بما فيها الإنسان وبعض الحيوانات بل بعض الجمادات أيضا. صحيح أن ذكر الوحي قد ورد بشكل عام في حق الأنبياء، لكنه ورد بحق غير الأنبياء أيضا، كما يقول الله سبحانه وتعالى عن أم موسى ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾(طه ٣٩-٤٠) وفي

موضع آخر قال ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾(القصص: ٨) ثم يقول الله تعالى بخصوص الوحي إلى حواريي عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾(المائدة ١١٢). فكما لاحظنا من خلال القواميس أن الوحي في هذه المواضع يعني أن الله تعالى ألقى في القلب أمرا. ثم ورد في القرآن الكريم ذِكْرُ "الوحي إلى السماء" أيضا، لكنني أود شرح بعض الأمور من خلال كلام سيدنا المسيح الموعود عليه السلام، حيث يقول حضرته:

"من كان يؤمن بالله وآياته، فقد وجب عليه أن يؤمن بأن الله يوحي إلى من يشاء من عباده، رسولاً كان أو غير رسول، ويكلّم من يشاء، نبيًّا كان أو من المحدَّثين. ألا ترى أن الله تعالى قد أخبر في كتابه أنه كلَّم أُمَّ موسى.... وكذلك أوحى إلى الحواريين." (تحفة بغداد)

ثم يقول حضرته عليه السلام:

وقد أخبر الله تعالى في كتابه المحكم عن بعض رجال ونساء كلّمهم ربهم وخاطبهم وأمرهم ونهاهم، وما كانوا من الأنبياء ولا رسل رب العالمين. ألا تقرأ في القرآن ﴿ولا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

فتدبَّرْ أيها المنصف العاقل.. كيف لا يجوز مكالماتُ الله ببعض رجال هذه الأمة التي هي خير الأمم، وقد كلّم اللهُ نساءَ قوم خلوا من قبلكم، وقد أتاكم مثل الأولين." (حمامة البشرى)

فنحن نؤمن يقينا بأن الله تعالى لا يزال يوحي إلى سليمي الفطرة الذين يريد أن يجعل عاقبتهم محمودة، فيقيم أمثالهم لنصرة المسيح الموعود عليه السلام من خلال وحيه، فبشَّره الله سبحانه وتعالى قائلا: "ينصرك رجال نوحي إليهم من السماء." ونلاحظ تحقق هذا الوعد الإلهي باستمرار حيث أوحى الله ولا يزال يوحي إلى عباده لنصرة المسيح الموعود عليه السلام. لقد قرأتُ على مسامعكم بعض الأحداث في خطابي أمس، وهناك أحداث لا حصر لها حيث يخبر بعض المنضمين إلى الجماعة كيف هداهم الله تعالى إلى جماعة المسيح الموعود عليه السلام.

والآن أعود إلى صميم الموضوع بعد هذا التوضيح فأقول لاحظنا من خلال القواميس أن المراد من الوحي في هذه المواضع إلقاء الله تعالى في قلوب بعض الناس ليقوموا بمهام معينة.

ثم ورد ذكْر "الوحي إلى السماء" ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت ١٣)

والمراد من الأمور الموكولة إلى السماء هو أن الله تعالى قد سخر النجوم والكواكب الأخرى والغازات وغيرها بأداء مهامها. وقد ورد ذكر الوحي إلى الأرض أيضا كما في قوله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ (الزلزلة: ٥-٦). وقد أشير في ذلك إلى أحوال الزمن الأخير وقيل إن الأرض عندئذ ستُظهر هذه الأخبار بحسب الظروف المتجددة بناء على وحي الله تعالى، أي سيَظهر كل شيء للعيان بأمره

ﷻ كما نرى بل ترى الدنيا كلها. ثم يقول الله ﷻ ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (النحل: ٦٩)

إذن، فقد أوحِي إلى النحل أن تجعل لنفسها بيوتا. ولكن ما المراد من الوحي هنا؟ الوحي هنا يعني المؤهلات الكامنة التي خلقها الله تعالى في النحل. ويقول الله تعالى أيضا: ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٧٠)، أي أن النحل تصنع الشهْدَ أوَّلاً ثم تصنع (بوحي من الله) العسل الذي فيه شفاء لكم، وفي ذلك آية عظيمة للعاقلين الذين يتدبرون ويتفكرون.

فملخص الكلام أنه لا يجوز القول – دون تفكير وتأنٍّ – أن الوحي قد انقطع وأنه لا يمكن نزوله الآن، أو الاستهزاءُ بسيدنا المسيح الموعود عليه السلام والقول أنه لا يمكن نزول الوحي عليه. فقد ضرب الله تعالى في هذا الصدد أمثلة كثيرة وبيّن أن نظام الكون قائم على الوحي. إن ما قام به العلماء من بحوث مضنية حول النحل وما اكتشفوا بصددها من الأمور إنما تدل على نظام غريب حقا، بما فيها حمايةُ النحلِ الملكةَ وتوفير الغذاء لها، بالإضافة إلى قيام كل نحلة بأداء واجباتها حسب نظام منسق تنسيقا كاملا. تتوفر في هذا الأيام معلومات كثيرة بهذا الصدد في الجرائد والكتب والانترنت أيضا، غير أن ميزة القرآن الكريم هي أنه بيّن كل هذه التفاصيل قبل ١٤ قرنا. وفي ذلك إشارة إلى أن على الإنسان أن يتدبر في خلق الله تعالى وأفعاله ثم يتمسك باعتقاد أن وراء كل هذه المخلوقات هدفا عظيما. وأن كل مخلوق يتلقى أمرا من الله تعالى بواسطة الوحي لأداء الواجبات الموكولة إليه. ثم يقوم بتنفيذ هذا الواجب إما عن طريق الوحي الخفي أو الوحي الجلي حسب المؤهلات التي وهبه الله تعالى إياها، ولولا الوحي لاستحال أداء تلك الواجبات. والحال نفسه بالنسبة إلى النظام الروحاني، فلو انقطع الوحي نهائيا، أو لو لم ينزله الله تعالى بين حين وآخر حسب مقتضى الأمر لما بقي النظام الروحاني قائما كاستحالة قيام النظام المادي.

الاكتشافات الحديثة التي يقوم بها العلماء في العالم مبنيّة على نوع من الوحي الخفي أيضًا، إذ تخطر ببال عالِم فكرة يعمل عليها ويتدبرها حتى يُنضجها ثم يكتشف شيئا جديدا بناء على تلك الفكرة. على أية حال، فإن نظام الوحي ساري المفعول.

لقد قال الله تعالى عن الوحي إلى النحل ﴿...أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (النحل: ٦٩)، وقد بين سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه الوحي النازل على النحل لإنشاء البيوت في أماكن ثلاثة بيانا رائعا مقرونا بالنظام الروحاني، وبوحي الله إلى الناس ومدارجه المختلفة. إن جمال مضامين القرآن هو أن كل ما ورد فيه من بيان أو مثال يكون مصحوبا بنظام روحاني عميق بالإضافة إلى جماله الظاهري. ولكن لا يرى هذا النظام الجميل والمنسَّق ولا يفهمه إلا الذين يسبرون أغواره بحثا عن لآلئ الحكمة والمعرفة. وفيما يتعلق بالوحي إلى الناس فقد أشير في الآية المذكورة أعلاه إلى أنه كما أن الله تعالى يوحي إلى النحل لتتخذ الأماكن العالية بيوتا لها، كذلك هناك درجات للوحي الذي يتلقاه الناس. فيكون الوحي

إلى بعضهم من الدرجة الرفيعة جدا، ثم الأدنى فالأدنى حسب مؤهلات متلقِّيه. وهذا أيضا يشير إلى قول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (البقرة:٢٥٤)

لو أمعنّا النظر في هذه الآية لوجدنا أن الحديث – في سياق الكلام عن الوحي إلى النحل والآيات التي تتحدث عن صنع العسل – يدور حول هذا النظام الروحاني. لقد ذكر الله تعالى ألوان العسل والشفاء الموجود فيه ثم قال في الآية التي تليها ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (النحل:٧١)

فنرى أنه لا علاقة ظاهرية بين هذا الموضوع والنحل، ولكن الله تعالى يقول ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل:٧٠)، وأشار إلى أن من واجبكم أن تتدبروا في أن الوحي الوارد ذكره في القرآن الكريم الذي ينزل على الناس – علمًا أن هناك آيات كثيرة تتحدث عن الوحي إلى الأنبياء – ينزل على الأنبياء من أجل الشفاء الروحاني، لأن الحاجة إلى الشفاء الروحاني تبقى قائمة في كل زمان. لقد بُعث الأنبياءُ لإصلاح حالة الناس الروحانية، وقد أنزل الله تعالى عليهم دائما إما شريعة جديدة أحسنَ مما سبقتها وقادرةً على الشفاء أكثرَ من سابِقَتِها، أو حَفِظ الشريعة السابقة بواسطة الأنبياء؛ لأنه كلما أصاب حالةَ الأممِ الروحانيةَ انحطاطٌ ووصل الناس إلى أرذل العمر من الناحية القومية ونسوا تعاليمهم بعث الله فيهم أنبياء ليهبهم نضارة عن طريق الوحي الرباني، وليصل إليهم ذلك العسل الروحاني.

من المعلوم أن النبي ﷺ نال أعلى مكانة وأفضلها بين الأنبياء جميعا كذلك كان مستوى وحيه أيضا أعلى وأفضل من غيره من الأنبياء، ولكونه ﷺ أفضلَ الرسل وخاتَم النبيين، ولكون شريعتِه كاملةً من جميع النواحي فإن زمنَه ممتدٌّ إلى يوم القيامة، ولكن كل شيء يصيبه الانحطاط حسب قانون الله تعالى كما هو معلوم. وقد تنبأ به النبي ﷺ أيضا وقال إنه سيأتي (على الأمة) فترة الظلمة والظلام. فبحسب هذه النبوءة قد أتت هذه الفترة، مع أنّ الله تعالى ظلّ يبعث الأولياء والمجددين في الأمة، فنشروا النور فيما حولهم. وفي آخر المطاف حيث إن المسلمين كانوا قد نسوا القرآن الكريم الذي هو شفاء ورحمة لهم، فقد بعث ﷻ خاتَم الخلفاء سيدَنا المسيح الموعود عليه السلام –مسترشدا من الله تعالى مباشرة– ليعيد إلى المسلمين مجدهم وشرفهم الغابر اللذيْن كانوا يتمتعون بهما في غابر الأزمان، ولكي يقدم أمام العالم جميع الحقائق والمعارف الكامنة في كل كلمة وحرف من القرآن الكريم.

فالله العليم القدير الذي عِلمه وقدراته أبدية لا تزول ينزِّل إلهامَه ووحيه على من يشاء لإقامة نظامه.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"ما دام الوحي إلى النحل لم ينقطع فكيف يمكن انقطاع الوحي إلى الناس.... وكان مجدِّد القرن الأول في الألف الثاني (شيخ أحمد السرهندي) والشاه ولي الله الدهلوي أيضا قائلان باستمرار الوحي."

ثم يذكر عليه السلام مقامَه الذي وهبه الله تعالى في هذا الزمن كخادم النبي ﷺ ويقول:

"إن من السنّة القديمة لذلك الإله -الذي هو خالق هذه الدنيا ويبشِّر عن حياة الآخرة الأبدية- أن ينـــزل على بعض عباده وحيًا من عنده ليزيد في معرفته عباده الغافلين ويكلمهم ويُظهر عليهم آياتـــه الـــسماوية، فيرون الله تعالى بعيونهم الروحانية ويفيضون يقينا وحبًّا فيكونون جديرين بأن يجذبوا الآخـــرين أيـــضا إلى ينبوع الحياة التي يرتوون منها، لكي يتذوق الغافلون طعم حبِّ ربّهم وينالوا النجاة.

وكلما فتر حب الله في الدنيا وتضاءلت الطهارة الباطنية الحقيقية بسبب الكسل والغفلة أَلْهَمَ اللهُ أحدا من عباده وبعثه لطهارة القلوب. والذي بعثه الله تعالى في هذا العصر مطهرا إياه بيده هو أنا العبد الضعيف."

إذن، فإن بقاء سلسلة الوحي ضرورية لبقاء تعليم الدين خَضِرا نَضِرا ولإيقاظ الغافلين ولإقامة ملكوت الله الروحاني في الدنيا. وفي هذا العصر قد أعطى الله تعالى المسيح الموعود بحكمته الخاصة نصيبا مـــن الـــوحي والإلهام لكي تظل سفينة الإسلام تتقدم إلى الأمام دوما مقاوِمَةً كلَّ أنواع الطوفان والزوابع. لقد خاطبه الله تعالى في وحيه وقال: "واصنع الفلك بأعيننا ووحينا، وقُمْ وأنذِرْ فإنك من المأمورين."

فمنذ أن قام حضرته عليه السلام بإعلانه والدنيا ترى بوضوح أن آفات أرضية وسماوية تحلّ بكثـــرة وأن العـــالم يتعرّض بسرعة هائلة للدمار الذي سبق أن أنذر عليه السلام منه، وهذا دليل ساطع على صحة الوحي النازل عليه، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

والآن نرى كيف يُنـــزل الله تعالى الوحي على الناس؟ فيقول الله عز وجل في القرآن الكريم

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: ٥٢)

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في تفسير هذه الآية:

"نرى على صعيد الواقع أن هناك ثلاثة طرق لكلام الله لا رابعة معها. الأول: الرؤيا، والثاني: المكاشـــفة، والثالث: الوحي... والمراد من: ﴿من وراء حجاب﴾ هو الرؤيا، ومعناها أن الصفة الغالبة للرؤى هي أنهـــا تكون مصحوبة بكثرة الاستعارات التي لها صبغة الحجاب، وهذه هي طبيعة الرؤى.

(أي يرى الإنسان الرؤى بصورة الإشارات والاستعارات ولا تكون بكامل الوضوح بشكل عام)

والمراد من: ﴿يرسل رسولا﴾ هو المكاشفة، إذ يتمثل الرسول بصورة المكاشفة أيضا، وحقيقة المكاشفة هي أنها سلسلة من التمثلات. (جريدة "الحكم" ج١٠ عدد١٠ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٠٦ ص١٠)

(أي أن نزول الرسول من الله يمثل حالة من الكشف بحيث يبلغ الرسول رسالة ربه. فظهور الملائكة يكون بحالة كشفية. وطبيعة الحالة الكشفية هي أن الملائكة يبلغون الرسالة في هذه الحالة)

يزيد المسيح الموعود عليه السلام هذا الموضوع شرحا ويقول:

"إن لكلام الله ثلاثة أنواع: الوحي، والرؤيا والكشف. الوحي هو الكلام الذي ينـــزل على قلـــب الـــنبي الطاهر والمطهَّر بدون أية واسطة، ويكون هذا الكلام أوضح وأجلى. ويمكن إيضاح الموضوع أكثر بضرب مَثَلِ هذا الشخص كفيف العينين الجالس أمامي *(علما أن حضرته عندئذ كان في مجلس وكـــان شـــخص*

كضيف العينين جالسا أمامه) ولا يخطئ في فهم كلامي قط ولا يخطر بباله أن الكلام الذي يسمعه قد يكون لغيري، وإن كان لا يراني بعينيه الظاهريتين.

النوع الثاني من الكلام هو الرؤيا أو الحُلم، ويكون هذا الكلام جميلا ولطيفا وذي أوجُه ويحتوي على الاستعارة مثل رؤية النبي ﷺ السوارينِ في يديه المباركتين، أو رؤيته يدَي إحدى زوجاته أطول من غيرهن، أو رؤيته البقرة مثلا. فمثل هذا الكلام يكون بحاجة إلى التفسير.

والنوع الثالث من الكلام هو الكشف، ويكون بصورة التمثل سواء كان في صورة جبرائيل أو غيره من الملائكة عليهم السلام أو بصورة شيء آخر.... فلم يُذكر في الآية ﴿أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا﴾ طريقة أخرى لكلام الله تعالى غير التي ذكرناها أعلاه." (جريدة "الحكم" ج٥ عدد ٢٤ مارس/آزار ١٩٠١ ص٦)

فلكلام الله مع الناس ثلاثة طرق ذكرها ﷻ في الآية المذكورة أعلاه. والمعلوم أن كلام الله مع كل شخص يكون بحسب علاقته معه ومرتبته ومكانته عنده ﷻ. إن عباد الله الأصفياء الذين يوحي إليهم يريهم الرؤى الصادقة أيضا ولكن ليس ضروريا أن يحظى بالكشوف والإلهامات كل من يرى الرؤيا الصادقة. يقول المسيح الموعود عليه السلام أن الله تعالى يُكرم أناسا ماديين أيضا بالرؤى الصادقة أحيانا، لكن ليس بسبب مكانتهم عند الله بل لكي يُطلعهم على أن الله تعالى يكلِّم عباده عن طريق الوحي والإلهام والكشف ويبلغهم رسالته حتى يزداد هؤلاء الناس (الماديين) يقينا بوجود الله، ويتنبَّهوا وينصتوا لمن يعلن تلقي الوحي والإلهام. ولكن للأسف الشديد هناك ملايين بل بلايين من الناس الذين لا يكونون على استعداد للإنصات لمن يريد أن يبلغهم الرسالة الإلهية.

فكما قلت، إن الأنبياء هم الذين ينطبق عليهم مضمون هذه الآية أكثر من غيرهم، ليبلغوا الناس رسالة الله التي ينزلها عليهم، ويحاولوا تحويلهم إلى عباد الرحمن. فيقول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (المائدة: ١٠٠) ويقول أيضًا ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ (يس ١٧-١٨)

لقد ذكر الله تعالى في عدة أماكن في القرآن الكريم مهامَّ الرسل وعلى رأسهم النبي ﷺ الذي قال ﷻ له ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ (المائدة: ٦٨) فما هذه الرسالة التي أُمِر النبي ﷺ بتبليغها؟ وما الذي يبلّغه الأنبياء كلهم؟ الكل يعرف أن المراد من ذلك هي الرسالة التي أنزِلت عليهم. ولكن ليس للأنبياء أن يُكرهوا الناس على الإيمان بها، بل ليس عليهم إلا أن يبيِّنوا لهم أنها رسالة الله التي نبلغها لكم، فلو آمنتم بها لتحسَّنت دنياكم وعقباكم، وإن لم تُنصتوا لها فأمْرُكم إلى الله. ولقد أنذر الله تعالى أولئك الذين ينكرون الأنبياء إنذارا شديدا، فالأنبياء الذين يواسون خلق الله أكثر من غيرهم يضطربون ويقلقون كثيرا بسبب إنكار الناس إياهم، لأنهم يرون أن إنكارهم هذا قد يؤدي بهم إلى عواقب وخيمة. وإن النبي ﷺ كان أكثرهم قلقا

واضطرابا من هذه الناحية. فقد ورد هذا الذكر في القرآن الكريم كما يلي ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٤)

لا شك أنه ليس للأنبياء مصلحة شخصية في إيمان الناس، فقد ورد في القرآن الكريم عند ذِكْرِ كلِّ نبي أنه قال لقومه ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ١٢٨)

وهذا ينطبق على النبي ﷺ أكثر من غيره بلا ريب، حيث كانت حياته ومماته لله رب العالمين، فقد أعلن الله تعالى على لسانه ﷺ ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٣)، فمَنْ سَلَّم كلَّ شيء لله تعالى، وكان يعطي الناس بسخاء بدلا من أن يأخذ، حتى اعترف الكفار أنه شخص من عالَم آخر، فما لَهُ وللدنيا الفانية؟!

فكان إهلاكُه ﷺ نفسَه ناتجا عن قلق على أن الناس قد يَهْلِكون بسبب إنكارهم إياه، فكان ﷺ دائم القلق والاضطراب لإنقاذ أهل الدنيا من الهلاك. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في ذكر هذا القلق: "إن نور الهداية هذا الذي ظهر في جزيرة العرب بصورة خارقة ثم انتشر في الدنيا كان تأثيرا للحرقة القلبية للنبي ﷺ. لقد صار كل قوم بعيدا ومهجورا من التوحيد إلا أن هذا الينبوع ظل جاريا في الإسلام. إن هذه البركات كلها كانت نتيجةَ أدعية النبي ﷺ، حيث قال تعالى ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾

فإن سبب عدم وجود الصلاح والتقوى في أمم الأنبياء السابقين إلى هذه الدرجة كان عائدا إلى أنهم لم يكونوا متحلين بهذا النوع من الانتباه والحرقة لأممهم."

فلما كان النبي ﷺ آخر الأنبياء وخاتَم النبيين لذا كان قلقه يشمل أيضا أولئك الذين سيولَدون إلى يوم القيامة، لذا فقد بشَّره الله تعالى ببعثة مُحِبِّهِ الصادق في الزمن الأخير. فيأتي الأنبياء إلى الدنيا ليبلغوا الناسَ جميعا الوحيَ النازلَ عليهم من الله ﷻ. ولا يكون هذا الوحيُ وحيَ شريعة بالضرورة، بل يبلغون أحيانا – في صورتها الحقيقية – شريعة أو رسالة جاء بها نبي قبلهم. والمراد من تبليغ الرسالة بصورة صحيحة هو أنه عندما ينساها الناس بمرور الزمان أو تتطرق إليها المحدَثات لعدم فهم الناس إياها على حقيقتها، فينزهها الأنبياء من الشوائب بناء على وحي يتلقونه من الله تعالى ويقدمونها للناس في صورتها النقية تماما.

على أية حال، إن الغرض من بعثة الأنبياء أن يُقرّبوا الناس إلى الله تعالى من خلال تبليغهم رسالته ﷻ. وإن قلوب الأنبياء تفيض بمؤاساة خلق الله تعالى مما يمكّنهم من أداء هذه المهمة بكل اهتمام وإخلاص. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وهو يذكر هذه الحالة للأنبياء:

"إن النبي – بسبب حماسه القلبي المفرط لمؤاساة بني البشر – يريد من خلال توجهاته الروحانية وتضرعاته وتواضعه أن يعرف الناسُ ذلك الإله الذي تجلّى عليه فينالوا النجاة، وإنه يقدم لله تعالى التضحية بنفسه من صميم فؤاده، ويقبل أنواع الموت ويقحم نفسه في كثير من المجاهدات لينال الناسُ الحياةَ."

قال حضرته: "كل واحد يسعى لخيرِ نفسه، إلا أن الأنبياء عليهم السلام يسعون من أجل خير الآخرين؛ عندما يكون الناس نياما فإن الأنبياء من أجلهم يسهرون، وحين يكونون منغمسين في اللهو والضحك فإنهم

من أجلهم يبكون، ولنجاة الناس وخلاصهم كلَّ مصيبة يقبلون. وكل ذلك حتى يتجلى الله تعالى بتجلٍّ خاص يبرهن به للناس على أنه موجود ويكشفَ على الأرواح المستعدة ذاته ووحدانيته، لكي ينالوا النجاة الحقيقية. فإنهم يقبلون الموت حتى في مواساتهم للأعداء الألداء."

قال حضرته: "لقد أرى نبينا ﷺ أسوة مثالية في هذا الخصوص."

فهذه هي مهمة الأنبياء أن يبلغوا الناس رسالة الله تعالى لكي يهتدوا إلى النجاة الحقيقية. لقد جعل اللهُ الإنسانَ أشرف المخلوقات وأودَعه قوة التمييز بين الحق والباطل لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين ٥)، أي أن الله تعالى قد أودع الإنسان قوى روحانية عظيمة وكفاءات عجيبة تمكنه من الوصول إلى أعلى درجات الرقي الروحاني والمادي. كما أعطاه كفاءاتٍ بنّاءة تجعله نافعا للآخرين من الناحية المادية والروحانية. فلو حاول استخدام قواه وكفاءاته، وسلك في سبل الحسنات والتقى، واستفاد مما جاء في وحي النبي وإلهامه لأصبح نافعا ليس للبشرية فقط بل للمخلوقات الأخرى أيضا. فكما كنت أقول إن الله تعالى خلق الإنسانَ أشرفَ المخلوقات كلِّها وأودعه قوة التمييز بين الحق والباطل، وهو يُنـــزل بوحيه تعليمًا على الأنبياء لمعرفة هذه القوة والكشف عنها، إضافة إلى ذلك فقد أعطى كل إنسان قوى – سواء سميت بالفطرة النقية أو الإلهام – تنبهه نحو التمييز بين الحسن والسيئ، وذلك لقوله تعالى في القرآن الكريم ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس ٩)، أي أن الله تعالى قد كشف على النفس جميع الأمور، سواء كانت متعلقة بالسيئة أو الحسنة والتقوى. فمن عمل بالحسنات أو مضى قدما في سبيل الصالحات فقد حقق ذلك الهدف الذي بُعث به الأنبياء، وهو ما جعله الله تعالى هدفا لخلق الإنسان أيضا لقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ٥٧). إن العبادة نوعان؛ الأول: عبادة الله تعالى، وهي تحتوي على الصلاة والصوم والحج وغيرها، والثاني: أداء حقوق خلق الله تعالى؛ وهو على نوعين أيضا، أولا: أداء الحقوق الظاهرة لخلق الله تعالى، ثانيا: تبليغهم رسالة النبي عملا بمبدأ أن يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه، الأمر الذي يهبه نجاحا في الدنيا والآخرة، وإلا فمن لا يعمل بحسب هذه التعاليم وإنما يستغل هذه الحرية للانحراف إلى السيئات فإنه يلقى الخيبة والخسران. يقول الله تعالى عن الأبرار والأشرار ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس ١٠-١١). ومعنى "دسّاها" أنه مال إلى السيئات، أو لم يُصْغِ إلى ذلك الوحي الذي يأتي به أنبياء الله الأطهار. لقد وضح القرآن الكريم بذكر أمثلة أقوام الأنبياء السابقين أن الذين يعصون أنبياء الله تعالى فلا تكون عاقبتهم حسنى.

إن الذين يقبلون الأنبياء لا يصبحون أحسن الناس بعد الأنبياء إلا إذا طهروا أنفسهم وأدركوا الهدف الحقيقي من خلقهم ثم واظبوا على أداء حقوق الله وحقوق العباد، وساهموا في مواصلة المهمة التي أوحاها الله تعالى إلى أنبيائه. لو فعل أحد ذلك لجاز القول بأنه استفاد من وحي الأنبياء ودخل في زمرة المؤمنين الحقيقيين، الأمر الذي يمتاز به الحواريون الحقيقيون وهم المفلحون الذين تكتب لهم الغلبة في نهاية المطاف. يقول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾(الصف ١٥).

فكما قلت سابقا إنه من واجب أتباع النبي بعد وفاته أن يوصلوا إلى العالم تلك الرسالة التي جاء بها ذلك النبي، ومن يعملون بحسب هذه الرسالة يستحقون لقب "أنصار الله". قال المسيح الموعود عليه السلام:

"لا يحتاج الله تعالى إلى أن ينصره أحد. كان عز وجل يقدر على ألا يجعل رسله محتاجين لطلب النصرة من المؤمنين. فعندما يطلب الأنبياء من أتباعهم النصرة فذلك لأن مهمتهم أن يولّدوا عظمة الله تعالى في قلوب الناس، حتى ينشأ لديهم شعور بأن كل شيء يملكونه هو لله تعالى، وأن من واجبهم العمل بأوامر الله وتبليغ رسالته، كما هو واجب الأنبياء، كما أسلفت.

أما فيما يتعلق بالأنبياء فيكونون واثقين من تحقق وعد الله تعالى ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(غافر ٥٢)، فلما كان الله تعالى هو من ينصر الرسل والمؤمنين أيضا، فما معنى طلب النصرة من المؤمنين؟ معناه أن يشتركوا في الثواب. إن تاريخ الإسلام موجود بين أيدينا، ويتضح منه أن الذي جعل المسلمين غالبين دوما هو نصر الله تعالى وحده. فلقد هزَمَ المسلمون – رغم ضعف قوتهم وقلة حيلتهم – عدوَّهم في غزوة بدر، ونالوا الفتح. ولكن في غزوة حنين لما أعجبتهم كثرتهم فزعموا أنهم سينالون الفتح حتما، شنَّ عليهم العدو هجمة شديدة لدرجة ما أغنتهم كثرتهم شيئا. لقد صور القرآن الكريم هذا المشهد في الآية التالية ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ (التوبة ٢٦)، ولكن الله تعالى يعطي أنبياءه وعدَ النصر والغلبة ولم يعط أحدا هذا الوعد مثلما أعطاه للنبي ﷺ، لذلك بعد أن أعطى الله تعالى المسلمين درسا في هذه الغزوة – أن مصدر القوة الحقيقة ليس الأفراد إنما هو الله تعالى فحسب – قد هيأ لهم أسبابا باعثة على السكينة والطمأنينة. يذكر الله تعالى هذه الحالة فيقول ﴿ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾(التوبة ٢٦). والجدير بالذكر هنا أن أنبياء الله لا يتوكلون إلا على الله، وكان نبينا ﷺ متوكلا على الله تعالى أكثر من الجميع حتى إنه كان واثقا من هزيمة الكفار ولو لم يبق معه أحد، وبهذه الثقة الكاملة كان يتوكل على الله تعالى، لذلك قال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

أي إنني نبي مرسل من الله تعالى ولا شك ولا شبهة في ذلك، ولهذا السبب أنا واثق من أنه تعالى سوف ينيلني الفتح والغلبة. أما التحول المفاجئ الذي حدث في الحرب فهو مؤقت، واعلموا أنني أنال الفتح في نهاية المطاف حتى ولو لم يبق معي أحد. لم تحدث تلك الحالة في الحرب جراء أي ضعف أو تكبر صَدَرَ مِن النبي ﷺ، بل كان مردّها بعض ضعاف الإيمان من المسلمين الذين انبهروا بكثرتهم. فلا يقول الله تعالى للمؤمنين أن ينصروا رسلهم لحاجة في نفسه، بل يقوله لهم حتى يساهموا في هذا النصر فينالوا أجرا عظيما. وإن حاول المؤمنون المساهمة في إنجاز مهمة نبيهم، وسعوا جاهدين لإكمالها واثقين بالله تعالى ومؤمنين به فسيُعَدّون ممن يحققون الهدف من إيمانهم بنبيهم، ويؤدون حق الأداء المسؤولية التي تقع على عواتقهم،

وبالتالي يبرهنون على كونهم حواريين صادقين، ويحرزون نجاحا تلو نجاح. فهذه هي مهمة كل أحمدي اليوم. فما دام قد آمن بالمسيح الموعود عليه السلام وصدّقه لكونه إمام هذا الزمان وإماما مهديا ومسيحا موعودا فلا بد أن يرفع هتاف "نحن أنصار الله"، وأن يستعد لتقديم كل تضحية لإنجاز مهمته. ويجب أن يستخدم جميع كفاءاته وطاقاته لإنجاز تلك المهمة التي بُعث المسيح الموعود عليه السلام لأجلها. لم يكن المسيح الموعود عليه السلام مصلحا أو مجدّدا عاديا، بل شرفه الله تعالى بلقب خاتم الخلفاء بسبب اتباعه الكامل لخاتم الأنبياء ﷺ، وأعطاه لقب المسيح والمهدي أيضا. أقدم لكم مقتبسا من كلام المسيح الموعود يتحدث فيه عن غرض بعثته ويعلن عن دعاويه، يقول حضرته:

"بعثني الله تعالى آمرًا إياي بتبليغ الحق والإصلاحِ، بعد أن نظر إلى حالة العصر الراهن ووجد الأرض مليئة بأنواع الفسق والمعصية والضلال – حين كان الناس قد اجتازوا القرن الثالث عشر ووصلوا إلى رأس القرن الرابع عشر – بدأت أنادي، تنفيذا لذلك الأمر، بين الناس عن طريق النشرات والخطب؛ أنني أنا ذلك الشخص الذي وُعدَ ببعثته من عند الله عز وجل على رأس هذا القرن لتجديد الدين، لأقيم في الأرض مِن جديدٍ الإيمانَ الذي كان قد ارتفع منها، وأَجذِبَ العالَمَ، بعون الله وبجاذبية يده هو سبحانه وتعالى، إلى الإصلاح والتقوى والصدق، وأصحّح أخطاءَهم العقَدية والعَمَلية. ولما مضت على ذلك بضع سنوات كُشف علي صراحةً بالوحي الإلهي أن المسيح الذي كان موعودا لهذه الأمة منذ البداية، وأن المهدي الأخير الذي كان سينال الهدى مباشرة من الله تعالى في زمن انحطاط الإسلام وانتشار الضلال، والذي كان المقدر له عند الله أن يقدِّم تلك المائدة السماوية للناس من جديد، والذي بشّر به رسول الله ﷺ قبل ١٣ قرنا، إنما هو أنا.

ولقد تلقيت في هذا الصدد مكالمات إلهية ومخاطبات رحمانية لم تترك مجالا للشك والريب لوضوحها. وكل وحي نزل عليّ كان يترسخ في القلب كوتد فولاذي. وكانت المكالمات الإلهية كلها مليئة بالنبوءات الإلهية العظيمة التي كانت تتحقق كفلق النهار. وإنَّ تواترَها وكثْرَتَها وإعجاز قوتها الخارقة أجبرني على الإقرار أنها كلام ذلك الإله الواحد الذي لا شريك له، والذي كلامُه القرآنُ الكريم." (تذكرة الشهادتين، الخزائن الروحانية مجلد ٢٠ ص ٣– ٤)

فإن المهدي والمسيح الذي وُعد بمجيئة قد ظهر خادما صادقا لسيدنا محمد ﷺ، ولقد بلّغ العالم رسالتَه بكل وضوح من خلال كتبه ونشراته، واليوم هذه مسؤوليتنا – نحن الحواريين الحقيقيين له – أن نقوم بواجبنا فنستعد لتقديم كل تضحية لتحقيق الهدف الذي بعث المسيح الموعود عليه السلام لأجله وهو إقامة حكم الله تعالى وإقامة شريعة سيدنا رسول الله ﷺ. واليوم أنيط بقاءُ العالم بخضوعه لاتّباع النبي ﷺ، ولا يتأتى ذلك في هذا العصر إلا إذا دخل العالم في طاعة خادمه الصادق وبيعته، واتبع ذلك الإسلام الحقيقى الذي جاء به رسول الله ﷺ قبل خمسة عشر قرنا ونسيه معظم المسلمين الآن، والذي أعطى الله تعالى اليوم فهمه وعرفانه للمسيح الموعود عليه السلام. فهناك ضرورة للدعوة إلى الله ببذل جهود خاصة لتحقيق هذا الهدف، ويجب على الأحمديين في كل بلد ومدينة وقرية أن يَهُبُّوا من أجل إنجاز هذه المهمة بتخطيط محكم وخاص. لا يمكن أن

نتنصّل من مسؤولياتنا بتبليغ واحد أو اثنين بالمئة من الناس. بل إن العالم يريد تغيير طاهرا. صحيح أن الدنيا وأهواء النفس قد جذبت كثيرا من الناس، ولكن هناك عدد كبير من الناس يريدون تغييرا طاهرا، إلا أنهم يخافون من قبول الحق، لأن بعض المغرضين والمشايخ المزعومين الذين يعتبرون أنفسهم سدنة الإسلام وبعض القادة السياسيين قد وضعوا – من أجل تحقيق مآربهم – العراقيل في سبيلهم. إن هذه الأوضاع سائدة في باكستان والهند وبعض البلدان العربية أيضا. على أية حال، صحيح أن الله يهدي من يشاء، غير أنه من واجب كل أحمدي التأسي بأسوة سيدنا المصطفى ﷺ ومحاولة بذل الجهود في تبليغ الحق والإكثار من الدعاء الحار في هذا الخصوص، وهو ما نبهنا إليه سيدنا المسيح الموعود عليه السلام، بل قد قضى جُلّ عمره في هذا الألم والحرقة. ولأجل ذلك قال الله تعالى له أيضا ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء ٤)

لقد أتاح لنا الله تعالى اليوم وسائل فَتَحت لنا جميعَ الطرق المسدودة وبدأت الأرواح السعيدة تتأثر عند سماعها وقراءتها لكلام الخادم الصادق للنبي ﷺ، ولقد ذكرتُ البارحة بعض الأحداث المتعلقة بالموضوع. فلن يكون التبليغ ناجحًا إن لم نضع أمام هؤلاء الناس نماذج عملية من حياتنا. فعلى كل أحمدي أن يُحدث تغييرا طيبا في أعماله إلى جانب قيامه بواجب التبليغ، ثم عليه أن يَرْوِيَ هذه التغييرات الحسنة بماء الدعوات والتضرعات لكي لا يكون الانقلاب الحاصل مؤقتا بل مستديما، ويكون سببا هداية الناس إلى الأبد. فانهضوا متحلين بهذه التغييرات الطيبة وبلِّلوا مساجدكم بماء الدموع وأحدِثوا هزةً في عرش الرحمن. إن قدر الله تعالى قد قرر لانتصار جماعة المسيح المحمدي عليه السلام، والآن من واجبنا نحن أن نركز على الدعاء أكثر فأكثر لجعْل أنفسنا جزءا من هذا القدر حتى نرى تحقق هذا الوعد في حياتنا وأن نسمع من السماء صوتا ينادي: ألا إن نصر الله قريب، وعما قريب سيُعطَى مفتاح الفتح والظفر في أيديكم.

ولنيل هذا الهدف النبيل يجب على الأحمديين القاطنين في آسيا، وكذلك يجب على الأحمديين في أوروبا وأمريكا والأحمديين في أستراليا أيضا، كما يجب على الأحمديين القاطنين في الجزر وفي أفريقيا أن يوصلوا دعوة المهدي الموعود عليه السلام إلى كل بلد وكل مدينة بل إلى كل زقاق، فهذا هو الهدف الحقيقي من وراء بيعة المسيح الموعود، وهذا هو المراد من كونهم حواريين صادقين له عليه السلام.

فيا أيها الأحمديون في الهند وباكستان! يتوجب عليكم أيضا أولا وقبل كل شيء أن تخلقوا تغييرات طيبة في نفوسكم بُغية تبليغ دعوة المسيح الموعود عليه السلام واستخدموا جميع مؤهلاتكم لأن المسيح الموعود قد وُلد في أرضكم، ومن هناك أمره الله أن يقوم بإعلان عظيم بكونه مسيحا موعودا.

ويا أيها الأحمديون من العرب إن هذه المسؤولية تقع عليكم أكثر من غيركم لكونكم الأقرب إلى النبي ﷺ من حيث اللسان والمكان، فأخبروا مواطنيكم أنكم أول المخاطبين لأمر النبي ﷺ بتبليغ سلامه إلى الإمام المهدي عليه السلام. ولا شك أنه سيأتي وقت حين تدخل أغلبية العرب في بيعة جماعة المسيح الموعود وتدعو له عليه السلام لأن الله تعالى الذي بعثه قد أوحي إليه قائلا: "يدعون لك أبدال الشام وعباد الله من العرب". فالذين

آمنوا بالمسيح الموعود من واجبهم اليوم أن يدعوا كثيرا وكثيرا جدا لنجاح دعوته. ومَن سنحت له الفرصة للذهاب إلى بيت الله الحرام ومسجد النبي ﷺ فليتضرع ويبكي هناك في حضرة الله تعالى لتحقق الهدف من بعثة المسيح الموعود عليه السلام.

إنني لسعيد أن طائفة من العرب عاكفون على تبليغ دعوة المسيح الموعود كما هو حقه، فينبغي ألا تـــدَعوا هذا العمل يتوقف، فلا تهنوا ولا تتكاسلوا فإن تأييدات الله ﷻ معكم، وإن آيات صدق المسيح الموعـــود معكم.

إن الإخوة العرب الساكنين في بلاد عربية يعلمون جيدا – كآية صدق المسيح الموعود عليه السلام – أن إجـــراء قنوات مختلفة لـــ MTA يبرهن على أن إعلان المسيح الموعود صِدْقٌ وحق، لأن الله تعالى يوفق هذه القناة رغم الظروف القاهرة والمعادية.

لقد رفعتم هتاف "نحن أنصار الله"، فلا تدَعوه يخمد أبدا. إن الله ﷻ قد سخر لنـــا كافـــة الاكتـــشافات العصرية فاستفيدوا منها حق الاستفادة. كان الله معكم، كان الله معنا جميعا، ووفَّقنا لأداء مسؤولياتنا على أحسن وجه على الدوام، آمين.

والآن سندعو معا، فاذكروا في دعائكم الذين نذروا حياتهم لخدمة الإسلام، والمشتركين في مشروع "الوقف الجديد"، والعاملين الآخرين في الجماعة والقائمين بتضحيات مالية، والمرضى والمحتاجين، والأسرى في سبيل الله، وشهداء الأحمدية. رزق الله الجميع يسرا وسهولة وأغدق عليهم نِعَمه، آمين.